

الفصل الخامس

في عين المضارع

- عين المضارع وأحوالها

- حروف الحلق وتأثيراتها

أولاً- عين المضارع وأحوالها :

عين المضارع في العربية تخالف عين الماضي حسب النموذجين التاليين :

1- فَعَلَ ← يَفْعُلُ - يَفْعِلُ

2- فَعِلَ ← يَفْعَلُ

هاتان الحالتان تحدتان باطراد في العربية ، مع وجود كثير من الاستثناءات تخالف الحالتين المذكورتين ؛ وأحياناً ما كان على (فَعِلَ) يأتي مضارعه على (يَفْعِلُ) أو يأتي مضارع (فَعَلَ) على (يَفْعَلُ) ، وهكذا تُشَدُّ عن القاعدة بعض هذه الحالات التي وقف الشراح أمامها حائرين مختلفين .

يقول ابن درستويه في النموذج الأول " اعلّموا أن كل ما كان ماضيه من الأفعال الثلاثية فَعَلَتْ ، بفتح العين ، ولم يكن ثانيه ولا ثالثه من حروف اللين ولا حروف الحلق ، فإنه يجوز في مستقبله يَفْعُلُ بضم العين وَيَفْعِلُ بكسرهما ، كقولنا : ضَرَبَ يضرب وشكر يشكر . وليس أحدهما بأولى به من الآخر ، ولا فيه عند العرب إلا الاستحسان والاستخفاف . فما جاء وقد استعمل فيه الوجهان قولهم : يَنْفِرُ وينْفَرُ ، ويشْتِمُ ويشْتُمُ . فهذا يدلّكم على جواز الوجهين فيه وإنهما شيء واحد ."¹

ويفسر ابن درستويه هذا النموذج صوتياً : " لأن الضمة أخت الكسرة في الثقل ، كما أن الواو نظيرة الياء في الثقل والاعتلال ثم لأن هذا الحرف لا يتغيّر لفظه ولا خطّه بتغيّر حركته "² .

وفي النموذج الثاني يشير ابن درستويه إلى " أن كل فعل كان ماضيه على فَعِلَ بكسر العين لم يجوز أن يكون مستقبله إلا يَفْعَلُ بفتح العين ؛ ليخالف الماضي المستقبل في البناء ويعتدلاً في الخفة والثقل .."³ .

ولمّا كان مضارع النموذج (فَعَلَ) (يَفْعُلُ أو يَفْعِلُ) بدون تفضيل أحدهما على الآخر إلا ما استحسنته العرب ؛ فقد استنكر ابن درستويه على ثعلب اختياره واحدة من الصورتين : " فأما اختيار مؤلف كتاب الفصيح الكسر في (يَنْفِرُ ويشْتِمُ) فلا علة له ولا قياس "⁴ .

¹- تصحيح الفصيح و شرحه ، لابن درستويه ، 33

²- تصحيح الفصيح و شرحه ، 33

³- تصحيح الفصيح و شرحه ، 56

⁴- تصحيح الفصيح و شرحه ، 35 - 36

وفي موضع آخر التمس المبرر في اختياره : " وأما قولهم شَتَمَ يَشْتِمُ فليس مما تخطئ فيه العامة . وإنما ذكره ، لأن المستقبل منه يجوز فيه كسر التاء وضمها قياسا . وكلام فصحاء العرب به أكثره بالكسر ، فاختار الكسر لكثرتة لا لأنه أصوب " ¹ .

ومن الأفعال التي اختلفوا حولها في هذا الشأن (حَسِبَ) ومضارعه القياسي بفتح العين ، لكن ورود المضارع بلغة أخرى وهي الكسر خلق جدلا بينهم : " وحسبت الشيء : ظننته ، وأحسبه بالكسر - وأحسبه بالفتح والكسر لغة كنانة ، والفتح لغة وقياس ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ : (يحسبون) بالكسر ، وهذا أحد ما جاء على فعل يفعل بكسر العين من الماضي والمستقبل ، ومثله : نَعِمَ يَنْعِمُ ، ويُسُّ يئس ، ويس يس يس وهي أربعة أحرف ، ويجوز الفتح في كل واحد منها . وقد جاء في نواذر اللحياني : نفست المرأة تنفس وليس ذلك بمعروف " ² .

وكان ابن درستويه قد فصل القول في ماضي ومضارع (حسب) لتداخل اللغات فيه " فإن قولهم : حسبته بكسر السين وأحسبه بفتحها في المستقبل نظير قولهم : علمته أعلمه ؛ لأنه من بابة وهو ضده فخرج على مثاله . أما أحسبه بالكسر في المستقبل فلغة مثل : ورم يرم وولي يلي ومثله قليل في الكلام . وقال بعضهم : يقال : حسب يحسب على مثال ضرب يضرب مخالفة للغة الأخرى . فمن كسر الماضي والمستقبل فإنما أخذ الماضي من تلك اللغة والمستقبل من هذه ، فانكسر الماضي والمستقبل لذلك ، ومصدره الحسبان بكسر الحاء " ³ .

وظن بعضهم أن الكسر لغة خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم : " وفي القرآن ﴿ أَحْسِبَ النَّاسُ ﴾ (العنكبوت 2 / 29) بالكسر ومنه ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ ﴾ (الجاثية 45 / 21) . وأما المستقبل فإن قول الله عز وجل : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ ﴾ (آل عمران 3 / 188) يقرأ بالفتح والكسر ، والفتح أقيس والكسر مستعمل كثير . وزعم قوم أن الكسر لغة النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما خاطب بها النبي

¹ - تصحيح الفصيح وشرحه ، 45

² - شرح الفصيح ، للزمخشري ، 263

³ - تصحيح الفصيح وشرحه ، 192

صلى الله عليه وسلم رجلاً كانت لغته الكسر فكلمه بلغته فقال : لا تحسبن أنا ذبحناها من أجلك ، فظن من سمع ذلك من النبي أنها لغته " 1 .

ومن المواضع التي خطأ اللخمي فيها ثعلبا قوله : " ومن الحرية : حرّ المملوك يحَرّ حرارا ، إذا صار حُرّا . قال علي بن حمزة : الصواب : حرّ المملوك يحِرّ ، بكسر العين في المستقبل وفتحها في الماضي وهو القياس " 2 .

ومنها عند الزمخشري " ثلث الرجلين فأنا أثلثهما ... أي صيرتُهما معي ثلاثة ، وهذا هو المشهور من قولهم : الثالث والرابع . واختار صاحب الكتاب في إكمال العدة بالكسر في المستقبل : أثلث وأخس ، وبالضم في أحد الأجزاء : أثلث أي : أخذَ الثُلث ، وأعشَر كذلك . وجَوّز غيره الكسر والضم فيهما جميعا " 3

وكان ابن درستويه قد أنكر على ثعلب اختيار صورة واحدة من صورتَي المضارع في مثل (شتم يشتم ويشتم) ، ولكننا نجد العكس من ذلك عند الزمخشري الذي ينكر على الخليل تركه الأمر للخيار بين الصورتين ؛ حيث " قال الخليل رحمه الله : إذا جاء فعل على مثال فَعَل ، ولم تسمع بمستقبله ، فإن شئت قلت فيه يَفْعُل ويفْعِل ، وليس كذلك ، والصواب ما قاله الفراء ، وهو أن تجعل مستقبل فَعَل إذا لم يُسمع به يَفْعِل بكسر العين لأنه في الأصل مستقبل فَعَل ، ويفْعُل مستقبل فَعُل . وما عدا ذلك لا يعرف إلا سماعا " 4 .

وكان ابن جني قد فرط؟ طَقَّ بين صورتَي المضارع ، فاختار للآزم (يَفْعُل) يقول : " وأنا أرى أن يَفْعُل فيما ماضيه فَعَل في غير المتعدي أقيس من يَفْعِل ... وذلك أن يَفْعُل إنما هي في الأصل لما لا يتعدى نحو كَرُم يَكْرُم فضرِب يَضْرِب أقيس من قتل يَقْتُل " 5 .

1- تصحيح الفصيح و شرحه ، 192

2- شرح الفصيح ، ابن هشام اللخمي ، 109

3- شرح الفصيح ، للزمخشري ، 335

4- شرح الفصيح ، للزمخشري ، 38 - 39

5- الخصائص لابن جني ، 1 / 379

في حين أن غيره لا يرى تفاضلا كما رأينا عند بعض الشراح ، ونراه عند الفراء أيضا " مما يجتمع فيه على الشيء وإن كان غيره يجوز ، كما قالوا : يخرز ويخرز ويعكف ويعكف ، ثم يأتي مثله فيقال بوجه واحد لا يجاوز به غيره " ¹ . والغريب في الأمر أن لسان العرب قد صرّف (نفر) مرات كلها بالكسر (نفر ينفر) ² .

وعَدّوا كسر مضارع (حسب) من النواذر مع ثلاثة أفعال أخرى فقد جاء " في التهذيب : حَسِبْتُ الشيء أَحْسَبُهُ حِسَابًا وَحَسِبْتُ الشيء أَحْسَبُهُ حَسْبَانًا وَحُسْبَانًا . وفي الصحاح : ويقال أَحْسَبَهُ بالكسر - وهو شاذ ؛ لأن كل فعل كان ماضيه مكسورا فإن مستقبله يأتي مفتوح العين ، نحو عِلِمَ يَعْلَمُ ، إلا أربعة أحرف جاءت نواذر : حَسِبَ يحسب وييس وييس ونعم ينعم وييس يئس فإنها جاءت من السالم بالكسر والفتح " ³

ولقد عزا القدماء التناوب بين الفتح والكسر في هذه الصيغ إلى اللهجات فمن الناطقين من يكسر - ومنهم من يفتح ، وظهر ذلك في الفعل الشاذ عن القاعدة (حسب يحسب) حيث قرئت في القرآن بالفتح والكسر وعزوها إلى الاختلاف في اللهجات ، " يحسبهم : قرأها ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائي بكسر السين في القرآن كله ، وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة وأبو جعفر بفتح السين فيه كله " ⁴ .

وكانت اللهجات مقياسا لغويا قويا يحسم الخلاف في كثير من الأحيان ، ويحكم على وجهي الخلاف بين فريقين بأن كليهما صواب . ومنشأ الخلاف في كثير من الأحيان في هذا الشأن أن وجود وجه واحد في القاعدة لا ينفي وجود وجه آخر يغلطه بعضهم ؛ ربما لعدم سماعهم له !! .

وفي ذلك يقول د. إبراهيم أنيس : " يجب إذاً أن ننظر إلى أبواب الثلاثي كما رواها النحاة على أنها تنتمي لأكثر من لهجة واحدة ، وأن الذي رَوَاهُ إن هو إلا فرع من لهجات عدّة لأن أساس الفهم في أي لهجة من اللهجات هو الخضوع لقاعدة مطّردة نادرة الشذوذ " ⁵ .

¹ - المذكر والمؤنث ، للفراء 59

² - انظر : لسان العرب / نفر

³ - لسان العرب / حسب

⁴ - فقه اللغة مناهله ومسائله ، محمد أسعد النادري ، 181 / وانظر : تاريخ اللغات السامية ، إسرائيل ولفنسون ،

⁵ - في اللهجات العربية ، إبراهيم أنيس ، 146

أو ربما يختارون الأكثر استعمالاً ويتركون الآخر دون إحصاء علمي دقيق أكثر من مجرد السماع وربما جاء الإحصاء العلمي بنتيجة مخالفة لما شاع وانتشر بينهم لفترة طويلة . وهذا ما سنراه في موضعه .

ولقد اتفق التفسير الصوتي المعاصر للتناوب بين العلل القصيرة في اللهجات العربية - ومن ثم في الساميات التي هي على مفهوم أوسع لهجات من السامية الأم - اتفاق مع رؤية ابن درستويه الصوتية التي قدمناها من التقارب بين الضمة والكسرة لأنها على حد تعبيره أختان ، يقول د. غالب فاضل المطلبي : " إن هذا التناوب يرجع ... إلى تلك القرابة بين الأصوات الثلاثة من الناحية الصوتية ... تقارب عدد الذبذبات بين هذه الأصوات الثلاثة تقارباً شديداً ، مما قد يجعل وقعها على أذن السامع واحداً في بعض الظروف ، هذا إلى جانب عدم استقرارها ، وقدرتها العالية على التغير ، فكان أن اختلفت اللغات السامية واللهجات العربية في تردد هذه الأصوات فيما بينها . فما كان بالضم في لغة قد يكون بالفتح والكسر في لغة أخرى " ¹ .

هذا التقارب الصوتي بين الضم والكسر الذي يفسر التناوب بينهما هو ما نفهمه من إشارة ابن درستويه في إنكاره على ثعلب اختيار الكسر على الضم ، فإنها مرجعه اللهجات التي تستحسن هذا واللهجات التي تستحسن ذاك .

وكان للدكتور إبراهيم أنيس رأي في تحديد الناطقين بالضم والناطقين بالكسر ، فبالإضافة إلى العلة الصوتية في تقارب الكسر والضم فهما صوتا لين ضيقان ؛ " لهذا تحل إحداها محل الأخرى في كثير من الظواهر اللغوية ، غير أن الكسر دليل التحضر والرقّة في معظم البيئات اللغوية ؛ فهي حركة المؤنث في اللغة العربية ، والتأنيث عادة محل الرقة أو ضعف الأنوثة ، ولا شك أن الحضري أميل إلى هذا بوجه عام " ² . ولهذا مالت القبائل البدوية إلى الضم ، في حين مالت القبائل الحضرية إلى الكسر .

¹ - في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية ، غالب فاضل المطلبي ، 161 / وانظر : ص 157

² - في اللهجات العربية ، إبراهيم أنيس ، 82

ولقد حازت قضية عين المضارع انتباه المعاصرين ورأى بعضهم أن " موضوع النطق بعين المضارع لم يصل إلى صورة واضحة في التأليف القديمة ولا عيب على القدامى في ذلك ، حسبهم أنهم وضعوا الأصول وأشاروا إلى بعض الضوابط العامة وعلى المحدثين أن يعرفوا كيف يستفيدون من هذه الأصول " ¹ .

وأقلق بعضا منهم أن يتكلف الباحث العربي عناء البحث في المعاجم لمعرفة أكثر من أمر ؛ ذلك لأننا " في اللغة العربية نفتح المعجم مرتين : مرة لضبط عين الفعل ، وأخرى لفهم المعنى ، في حين أن الآخرين يفتحونه مرة واحدة ، فالغريون - مثلا - يفتحون المعجم لفهم معنى الكلمات " ² .

هذا التردد على المعاجم كما يصفه د. الطيب البكوش للتثبت من حركة العين ؛ " نظرا لانعدام شكل النصوص عادة ، ولا يخفى ما في ذلك من مجهود متجدد ووقت ضائع في جزئيات كثيرا ما لا تكون لها قيمة خاصة " ³ .

ولما كانت مشكلة النطق بالمضارع تكاد تنحصر- في البابين (فَعَلَ يَفْعُل) ، (فَعَلَ يَفْعِل) وبخاصة الأفعال الصحيحة السالبة ، فهي بحق مشكلة تحتاج إلى حلول صوتية أو صرفية أو معجمية ، فصيغة الماضي (فَعَلَ) هي الأصل في تعدد صيغ المضارع ، وهي ومن خلال الإحصاء الرياضي الحديث نجدها " أكثر الأفعال عددا ، لأنه الفعل الحقيقي الذي يدل غالبا على العمل والحركة و (الفعل) إطلاقا ، لذلك فهو أكثر تصرفا ؛ إذ تقابله ثلاث صيغ في المضارع ، والمشكل في هذه الصيغ هو أنها سماعية لا تخضع مبدئيا لقواعد مضبوطة . ونظرا لكثرة الأفعال فإن الذاكرة لا تستطيع أن تحفظ إلا ما كثر استعماله منها " ⁴ .

¹ - من قضايا اللغة ، مصطفى النحاس 143 - 144

² - من قضايا اللغة ، 165

³ - التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث ، الطيب البكوش 89 - 90

⁴ - التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث ، 89

وقد رأينا ابن درستويه يلتمس المبرر لثعلب في اختياره الكسر (يفعل) في إحدى الصيغ التي تحتمل الضم (يفعل) بحجة كثرة الاستعمال ، ورأينا ابن جني وغيره يربطون الصيغة (يفعل) باللازم ، و (يفعل) بالمتعدي .

لكن هذه الآراء تسقط أمام نتائج الإحصاءات الصرفية المعاصرة التي أظهرت أن النموذج (فعل يفعل) يفوق حسابيا النموذج (فعل يفعل) لازما كان أو متعديا . فبعد دراسة إحصائية له على بعض المعاجم وعلى القرآن الكريم حول صيغة (فعل يفعل يفعل) يقول د. الطيب البكوش : " وقد يبدو من الغريب أن بعض كبار النحاة كالفرء وابن جني كانوا يفضلون الكسر - بدون مبرر ظاهر ، ولعل ذلك يرجع إلى أنهم اعتبروا يفعل خاصا بـ (فعل) ففضلوا الكسر - للتمييز ... إلا أن هذا يتنافى والواقع اللغوي ؛ إذ نرى أن الضم يفوق الكسر (802 / 516) . والاستعمال القرآني يدعم ذلك أيضا (102 / 88) ، ولا شك أن المتعدي من هذه الأرقام يفوق اللازم ، وهو ما يجعلنا نشك في قيمة رأي ابن جني في هذه المسألة " ¹ .

ويرجع الطيب البكوش هذه النتائج من تفوق الضم على الكسر - إلى تفسير صوتي وهو أن " للضمة مخرجين ، فهي خلفية ولكنها أيضا (أمامية) من جهة استدارة الشفتين عند النطق بها ، فتكون بذلك من مناسبة لجّل الحروف ، بينما الكسرة الأمامية قد لا تلائم إلا الحروف المجاورة لها " ² .
وليست مشكلة التداخل بين الصوائت القصيرة في الأفعال بدعا في اللغة العربية ، فنحن نجد لها مثيلا في بعض أخواتها الساميات ، ولكن ليس بهذا الاطراد الأكثر انتظاما ، ومن ذلك ما يوجد في السريانية حيث يشير بولس الكفرنيس إلى أنه يوجد بعض أفعال مكسورة العين في الماضي عند الغربيين أما عند الشرقيين فبعضها مفتوحة العين وبعضها مكسورها ³ .

¹ - التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث ، 92

² - التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث ، 93

³ - انظر : غرامطيق اللغة الآرامية السريانية ، 136

فبرغم انتقادات بعض الصرفيين السابقة لطبيعة اللغة التي تجهد الناطقين والباحثين في المعاجم عن الضبط مرة وعن الدلالة مرة أخرى ، إلا أن هذا يميز اللغة ولا يعيبها ؛ فقد قلنا إن هذا الأمر يرتبط باللهجات ، واللهجات عند الدارسين كلها صواب ، مما يدل على نوع من المرونة والتوسع تميزت بهما العربية الفصحى والتزمت بها حتى اليوم ، في الوقت الذي تحررت فيه أخواتها الساميات من هذه الضوابط شيئاً فشيئاً مسائرة اللهجات العامية من الميل إلى الانفلات من الضوابط الصرفية التقليدية .

فنحن نتوافق مع ما ذهب إليه د. عبد الرحمن السليمان في قوله : " أما الاختلاف في حركة الوزن الواحد مثل (حسب) الذي جاءت عين مضارعه بالفتح والكسر ، فهو اختلاف لغات لا غير ... وهذه ظاهرة جزيرية ضاربة في القدم لم تحتفظ بها كاملة إلا العربية . وهي منطقية جداً لأن لكل وزن صيغة دلالية واضحة ، وهذا من عبقرية اللغات الجزيرية عموماً والعربية خصوصاً ، واجتماع هذه الظاهرة كلها في العربية (كالإعراب ...) من العناصر التي تدل على أمومة العربية الفصحى لتلك اللغات " ¹ .

وبالرغم من ذلك حفظت الساميات الشمالية (العربية والآرامية والسريانية) ست صيغ قياسية للماضي الثلاثي السالم المجرد ومضارعه هي : (فَعَلَ يَفْعُلُ - فَعَلَ يَفْعِلُ - فَعَلَ يَفْعَلُ - فَعَلَ يَفْعَلُ) (فَعَلَ يَفْعُلُ - فَعَلَ يَفْعِلُ - فَعَلَ يَفْعَلُ) ² .

ونخص من هذه الصيغ ما كان على النماذج موضوع الدراسة مما كان مفتوح العين في الماضي (فَعَلَ) فإن لمضارعه في الساميات الشمالية ثلاث صور كما في العربية (يَفْعُلُ - يَفْعِلُ - يَفْعَلُ) ، ولكن الفارق بينها وبين العربية أن العربية تحتفظ بالصورتين المضمومة والمكسورة للصيغة الواحدة .

¹ - ملاحظات ومقارنات لغوية ، عبد الرحمن السليمان ، ص2 ، موقع الكتروني.

² - انظر : آرامية العهد القديم قواعد ونصوص ، يوسف متى فوزي وآخر ، 151 - 152 / 187 - 188

وتدلنا تلك الصور على أن الماضي (فَعَلَ) مفتوح العين يختلط مضارعه في ثلاثة أبنية مختلفة لا تحددها سمة مميزة ، وما كان مضموم العين هنا ربما كان مكسور العين هناك أو مضمومها ، لا يحده مقياس معين . ومن أمثلته ما يلي :

* فَعَلَ يَفْعُل :

- (في العهد القديم) عزرا 5 : 10 כָּתַב ← יָכַתֵּב (كتب)¹ . (kātav - yeḥtov)

- وفي السريانية² : قَطَلَ يَقْطُول (qatal - yeqtol) ت

وفيها أيضا³ : كَتَبَ ← يَكْتُوب (katab - yektob)

* فَعَلَ يَفْعِل :

- في العبرية : יָתַן ← יָתַן : أعطى ، مع ملاحظة إدغام النون في عين المضارع⁴ . (nātan -

(yetten

في العهد القديم : יָפַל ← יָפַל (יָפַל) عزرا 7 : 20 : سقط ، وهو فعل نووني تحذف نونه في

المضارع وتشدد العين⁵ . (nāfal- yeffél " yenfél)

- وفي السريانية⁶ : عَبَدَ ← يַעْبِد (عمل) . (abad - yebed)

* فَعَلَ يَفْعَل :

وهي الصيغة الثالثة (فَعَلَ يَفْعَل) فهو في العربية يختص بوجود حرف الحلق في الصيغة ، وهو ما

ستتناوله في المبحث التالي ، ولكنه غير مقصور على الصوت الحلقي في الساميات ؛ فهو صيغة قائمة بالفعل

حتى بدون وجود حرف حلقي ، ومن أمثلته :-

¹ - آرامية العهد القديم قواعد ونصوص ، 151

² - اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية ، 187

³ - W.Wright: Lectures, 180

⁴ - W.Wright: 180

⁵ - انظر : آرامية العهد القديم قواعد ونصوص ، يوسف متى فوزي وآخر 151

⁶ - انظر : اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية ، إقليميس يوسف داود الموصلي ، 187

- في العهد القديم¹: לָבַשׁ ← יָלַבַּשׁ (لبس) دانيال 5: 7. (lābaš - yelbaš).

- في السريانية²: فִתַּח ← יִפְתָּח فتح. (ftaḥ - yeftaḥ)

غير أن بروكلمان يشير إلى وجود صورتين للصيغة الواحدة في الحبشية يقول: "ولا يزال وجود الصيغتين جنبا إلى جنب في مثل (sakaba) ← ieskeb

(sakba) ← ieskab (كذب)

وفيها: qarbā (في العربية قَرَّبَ) حيث المضارع ieqreb بجوار ieqrab³.

وفي إطار البحث عن حلول في اللغة العربية لإشكالية المضارع، فمنهم من رأى الحل في معجم للأفعال المأنوسة المستخدمة أو في عمل إحصاء للأفعال ثنائية الباب. في حين يقدم د. مصطفى النحاس حلا آخر ففي رأيه أن "الحل الصحيح يكمن في إيجاد معجم سياقي للأفعال الثلاثية يرفع عنها الإبهام ويزيل الشك ويمنح اللغة ثباتا واطرادا"⁴.

وهو هنا يؤكد ضرورة الربط بين الصيغة ودلالاتها "لأن الفعل منفردا يمثل الصيغة فقط أما السياق فيمثل الفعل صيغة ومعنى، وهذا ما ينبغي التأكيد عليه عند ضبط عين المضارع، لأن المعنى الدلالي ذو تأثير في بناء الفعل والمصدر أحيانا"⁵.

واختلاف الدلالة باختلاف حركة العين يوجد أيضا في الساميات، ففي السريانية مثلا يشير القس بولس الكفرنيس إلى أن "من الأفعال ما يختلف معناها باختلاف حركة عينها في الماضي أو المضارع... ومنها ما يختلف معناها باختلاف حركة عينها في المضارع فقط"⁶.

¹ - انظر: آرامية العهد القديم قواعد ونصوص، 151

² - انظر: اللمة الشهية في نحو اللغة السريانية، 187

³ - C. Brockelmann: Kurzgefasste vergleichende Grammatik، 257

⁴ - من قضايا اللغة، مصطفى النحاس، 176

⁵ - من قضايا اللغة، 176

⁶ - غرامطيق اللغة الآرامية السريانية، 135 - 136

وسنأخذ نموذجاً من المشترك السامي في الخلاف حول (حَسَبَ) ، وقياس مضارعه بالفتح ، إلا أن مجيء المضارع مكسور العين أدخلنا في هذا النقاش الطويل ، كان أهم نتائجه حول تلك الصيغة أنها لغة (لهجة) من اللغات وردت في الحديث الشريف مجارة من النبي - صلى الله عليه وسلم - لنطق بعض الأعراب ، ووردت كذلك في القرآن الكريم بالكسر- والفتح معاً مع اختلاف القراء ولكن الأشهر هو الصيغة القياسية مفتوحة العين ، ورأينا أن دلالة الفعل عند القدماء هي الظن وما تفرع عنه .

بداية نجد من الباحثين المعاصرين في اللغات السامية من يفرق دلالياً بين بنيتين (حَسَبَ) بالكسر ومضارعها (يَحْسَبُ) بالفتح ، و(حَسَبَ) بالفتح ومضارعها (يَحْسَبُ) بالكسر- وأحياناً (يَحْسَبُ) بالضم فالأولى بمعنى ظن واعتقد والثانية بمعنى عَدَّ من الحساب ؛ حيث يرى (thatcher) فرقا في العربية بين صيغتين (حَسَبَ) "حَسَبَ hasiba (ظنّ) ومضارعه يحسب: yahsibu ، وحَسَبَ: hasaba (عَدَّ) ومضارعه يحسب yahsubu" ¹ . هذا في الوقت الذي جعلها بروكلمان تحت معنى (ظن أو اعتقد) من اللهجات الحجازية واليمينية إحداهما تنطقها يحسبُ والأخرى يحسبُ ² .

وبرغم التنوع الصوتي والدلالي في العربية لهذا الفعل إلا أننا وجدناه في الساميات بصورة واحدة (حَسَبَ) مفتوح العين ودالتين مختلفتين (عَدَّ ، ظن) .

يشير مراد فرج المحامي إلى صورتين في العبرية : "حَسَبَهُ يحسبه كنصر : عَدَّهُ ... الماضي العبري منه (حَسَبَ) بفتحتين ثانيهما ممدود . والمضارع (يَحْسَبُ) فتح فسكون فضم ممال ممدود ، ومنه في المزمور 32 : 2 : (لا يحسب الله له غيًّا) ... وحسبه يحسبه بالكسر- : ظنه : ﴿ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [سورة الكهف 18 / 104] ، منه في أيوب 33 - 10 : (يحسبني) فتح فسكون

¹ - G.W.Thatcher: Arabic grammar, 73

²-C. Brockelmann: Kurzgefasste vegleichende Grammatik 256 انظر

فكسران ممالان ثانيهما ممدود غير ممال أي يحسبني يظنني¹ . ويشير أيضا إلى أنه " يقال حَسَبَ بالضم حَسَابَة وَحَسَبَا فهو حَسِيب هو عبريا : حَشُوب ، فتح فضم ممدود"² .

فاللفظة في العبرية بفتحتين ، وإلى ذلك أشار جزييوس " חָשַׁב (حَاشَب) فَكَرَّ وَعَدَّ"³ . وهكذا وردت في سفر التكوين 28 : 18 بمعنى اعتقد أو ظن :

חָשַׁבְתִּי אֶת הַצִּדִּיק לְרָשָׁע حسبت الصالح طالحاً⁴ . قراءته : حَاشَبْتِي إِتْ هَصْدِيقْ لِرَاشَع .
ووردت كذلك في سفر يونس : חָשַׁב فَكَرَّ⁵ .

وفي الحبشية ḥasaba ሐሰበ بمعنى ظن / اعتقد ، أما ḥazaba ሐዘበ فهي بمعنى (عَدَّ)
وكلتاها مفتوحة العين⁶ . وفي السريانية حَسَب ḥasab ، وفي الآرامية حَسَب ḥāṣab مفتوحة العين
بكلا المعنيين⁷ .

وبرغم عدم القدرة على تحديد ضبط عينه في نقوشها إلا أنه قد ورد في النقوش النبطية أيضا " ح
س ب : فعل ماضي على وزن فعل مصرف مع الغائب عرف بهذه الصيغة في النقوش البونية واللهجة
الآرامية الفلسطينية اليهودية"⁸ .

¹ - ملتقى اللغتين العبرية والعربية ، مراد فرج المحامي ، 1 / 144

² - ملتقى اللغتين ، 1 / 145

³ - W.Gesenius: 362

⁴ - انظر : قواعد اللغة العبرية ، عوني عبد الرؤوف ، 227

⁵ - انظر : دروس في اللغة العبرية ، ربحي كمال ، 559

⁶ - انظر : معجم مفردات المشترك السامي ، 142- 143 / في قواعد الساميات ، 383 / نقوش الحجر النبطية ،

سليمان بن عبد الرحمن الذبيب ، 176

⁷ - انظر : اللمعة الشهبية في نحو اللغة السريانية ، 353 / الأصول الجلية في نحو اللغة الآرامية ، 190 -

240 / معجم مفردات المشترك السامي ، 143 - 144

W.Gesenius: 362

L.Costaz: Syriac-English- French – Arabic dictionary , 118

Isho.B.Ali: The Syriac –Arabic glasses , 47

⁸ - المعجم النبطي 105 / نقوش الحجر النبطية ، 176

ويمتد هذا الفعل إلى المصرية القديمة أيضا hesb بنفس الدلالات¹. ولا تتضح قراءته صوتيا على نحو مُرضي.

وبعد هذا الطرح نستطيع أن نقرر أن التنوع الصوتي عن طريق الصوائت القصيرة يعد ميزة في اللغة العربية من عدة نواح:

- 1- التنوع الدلالي في مثل (حَسَبَ)، في الوقت الذي لم يظهر فيها ذلك جليا في الساميات.
- 2- المرونة اللغوية لاستيعاب أكثر من صورة صوتية وأكثر من ناطق عربي أو سامي.
- 3- الثراء المعجمي الذي يؤكد أمومة العربية للغات السامية وأنها تستوعب غيرها من اللهجات (أو اللغات) السامية.

ثانيا - حروف الحلق وتأثيراتها

لحروف الحلق تأثير استثنائي في كسر قاعدة (فَعَلَ - يَفْعُلُ) في اللغة العربية؛ لأن لتلك الحروف طبيعة صوتية خاصة تجعل صيغة المضارع من فَعَلَ مفتوحة العين، يقول ابن درستويه: "فإن كان الثاني منه أو الثالث حرفا من حروف الحلق فإنه يجوز أيضا فيه الفتح ولا يمنع من الكسر والضم؛ لأنها أصلان وإنما يفتح مع حروف الحلق؛ لأن حروف الحلق مستعلية، فكره فيها من الحركات ما ليس بمستعمل استثقالا للجمع بين الصعود والهبوط في حرف واحد، فمن ذلك قولهم: سَبَحَ يَسْبَحُ ..."².

ونظرا لغلبة الشواهد الدالة على صدق هذه الرؤية الخاصة بحروف الحلق فقد قبلها كثير من الصرفيين قاعدة خاصة، في حين أطلق آخرون عليها وصف الشذوذ عن القاعدة الأصلية، الأمر الذي خلق خلافا من نوع آخر وهو في تفسير ما شذَّ عن (القاعدة الشاذة)، وبمعنى آخر في تفسير ما سار على القاعدة الأصلية (فَعَلَ يَفْعُلُ) وحقه أن يسير مع القاعدة الشاذة لوجود حرف حلقي.

E.A.Wallis: An Egyptian Hieroglyphic dictionary , 510

¹- انظر :

²- تصحيح الفصيح و شرحه ، لابن درستويه , 33

يقول ابن الجبان في الإشارة إلى بعض الأمثلة التي سارت على القاعدة الأصلية دون الاستثناء :
 " وَنَطَحَ الْكَبْشَ إِذَا ضَرَبَ بَقْرَنَهُ يَنْطَحُ بِكَسْرِ الطَّاءِ ، وَالْقِيَاسُ فَتَحُهَا ... وَنَبَحَ الْكَلْبُ يَنْبَحُ : إِذَا صَوَّتَ
 وَالْبَاءُ مَكْسُورَةٌ فِي الْمَضَارِعِ وَالْقِيَاسُ فَتَحُهَا ... وَنَحَتَ يَنْحِتُ نَحْتًا إِذَا قَشَرَ وَجْهَ الْخَشَبَةِ قَشْرًا عَلَى وَجْهِ
 مَخْصُوصٍ بِآلَةٍ مَخْصُوصَةٍ وَالْحَاءُ مَكْسُورَةٌ فِي الْمَضَارِعِ وَالْقِيَاسُ فَتَحُهَا ، وَقَرَأَ النَّاسُ : ﴿ وَتَنْجُتُونَ مِنْ
 الْجِبَالِ بُيُوتًا ﴾¹ ، بِكَسْرِ الْحَاءِ . وَرَوَى عَنْ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ فَتَحُهَا فِي الْقِرَاءَةِ " 2 .

ويراه ابن درستويه كثيرا في الكلام " وما جاء وقد استعمل فيه الوجهان من حروف الحلق
 قولهم : نَطَحَ يَنْطَحُ وَيَنْطَحُ أَوْ نَبَحَ يَنْبَحُ وَيَنْبَحُ ، وَفَرَعَ يَفْرَغُ وَيَفْرَغُ ، وَبَرَأَ يَبْرَأُ وَيَبْرَأُ ، وَذَلِكَ كَثِيرٌ فِي
 الْكَلَامِ " 3 .

وكان ابن درستويه قد أقر قياسية القاعدة وأصالتها في فَعَلَ يَفْعُلُ ، وشذوذها في حروف
 الحلق عندما قال " ويجوز أيضا فيه الفتح ولا يمنع من الكسر والضم لأنها أصلان " 4 .

الغريب في الأمر وهو ما عجز الصرفيون عن إيجاد تفسير قاطع له هو ما جاء بالفتح في المضارع
 دون وجود حرف حلقي ويتمثل في صيغة : (أَبَى يَأْبَى) ، يقول ابن درستويه : " وقد شذت من
 كلامهم كلمة عما وصفنا فتحوا منها المستقبل والماضي وليست عينها ولا لامها من حروف الحلق ،
 وهي قولهم : أَبَى يَأْبَى ، وأجمعوا على ذلك " 5 . وقد قدم ابن درستويه تفسيراً صرفياً لذلك في أكثر من
 موضع في كتابه وهو ما سنعرض له بعد قليل .

ويمكننا تلخيص قضية حروف الحلق وأثرها على المضارع في موضعين :

- 1 - من قوله تعالى : (وَتَنْجُتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ) (الشعراء 26 / 149)
- 2 - تصحيح الفصحح و شرحه 103
- 3 - تصحيح الفصحح و شرحه 103
- 4 - تصحيح الفصحح و شرحه ، 103
- 5 - تصحيح الفصحح و شرحه ، 34

(1) - جواز السير على الأصل والفتح أولى مع وجود الصوت الحلقي : في مثل نَطَحَ ينطَح ونَحَتَ ينحَت وفرَغَ يفرُغ وغيرها .

(2) - الفتح مع عدم وجود الصوت الحلقي : في مثل أبى يأبى .
ويمكن إضافة موضع ثالث مرتبط بالباب ولكنه غير خلافي عند القدماء : وهو ما اشتهر بالسير على الأصل دون الفتح مع وجود الصوت الحلقي في مثل دخل يدخل ورجع يرجع .

وهاك بعض التفصيل :

أولاً : الحروف الحلقية في العربية عند الصرفيين القدماء ستة هي : (ء هـ ع ح غ خ) ، لها طبيعة خاصة لديهم أو قسموها إلى ثلاثة مواضع حلقية عندهم (أقصى-الحلق ووسطه وأدناه) ، وإن كان للمعاصرين رأي آخر في هذا التقسيم المخرجي طبقاً للمعطيات الصوتية المعاصرة¹ .
وأرجع سيبويه الفتح في هذه الحروف مع المضارع إلى هذه الطبيعة المخرجية الغائرة في الجهاز النطقي " وإنما فتحوا هذه الحروف لأنها سفلت في الحلق فكرهوا أن يتناولوا حركة ما قبلها بحركة ما ارتفع من الحروف فجعلوا حركتها من الحرف الذي في حيزها وهو الألف وإنما الحركات من الألف والواو والياء " ² .

ولم يتناقض هذا التفسير الصوتي مع ما ذهب إليه المعاصرون فقد أيد د. إبراهيم أنيس رؤية الأقدمين " وقد فطن الأقدمون من علماء اللغة إلى ميل الأصوات الحلقية إلى الفتحة وأقرهم على هذا المستشرقون وقد ظهر هذا الميل بصورة أوضح في اللغة العبرية . أما السر فيه فهو أن كل أصوات الحلق بعد صدورها من مخرجها الحلقي تحتاج إلى اتساع في مجراها بالفم ، فليس هناك مما يعوق هذا المجرى في

¹ - يقسم المعاصرون المنطقة التي تخرج منها هذه الأصوات إلى ثلاثة مخارج : الهمزة والهاء من الحنجرة ، والحنجرة جزء من جهاز النطق سابق للحلق ، والعين والحاء من الحلق ، وهو في موضع تال للحنجرة والغين والحاء من أقصى الحلق وهو يقع في منطقة تالية للحلق من جهة الأمام ، ومعنى هذا أن الأصوات الحلقية صوتان اثنان فقط هما العين والحاء ، ويذهب د. كمال بشر في تفسير ذلك اللبس إلى أنهم ربما أطلقوا الحلق على منطقة أوسع من تلك المنطقة التي نسميها نحن اليوم بالحلق والمحصورة بين الحنجرة وأقصى الحنك على ضرب من التوسع والمجاز / انظر في ذلك : علم اللغة العام القسم الثاني الأصوات ، د. كمال محمد بشر ، القاهرة ، دار المعارف بمصر 1980 . م ص 157 - 159

² - انظر : من قضايا اللغة ، مصطفى النحاس ، 150

زوايا الفم ، ولهذا يناسبها من أصوات اللين أكثرها اتساعا وتلك هي الفتحة ، ولم يشذ عن هذه القاعدة بين أفعال القرآن الكريم إلا أفعال قليلة " ¹ .

ويرى برجشتراسر ود . رمضان عبد التواب أن " سبب هذا التحول أن اللسان في نطق الحروف الحلقيّة يجذب إلى الوراء مع بسط وتسطيح له وهذا عين وضعه في نطق الفتحة " ² . تلك الفتحة يراها وليام رايت W. Wright ضعيفة " في علاقتها بالصوامت الأخرى سواء في المقطع المغلق أو المفتوح ، فإن (a) الفتحة تعتبر الصوت الأضعف " ³ . وهي لذلك ترتبط ارتباطا وثيقا بالأصوات الحنجريّة (ع غ ح خ) وكذلك حرف الراء " ⁴ .

هذه النزعة ، قد تكسر القاعدة في عكس اتجاهها فما يقال من تفضيل الحلقيات للفتح نجد عكسه تماما في بني تميم حيث نجد " صيغة فاعيل تتحول في نطق بني تميم باطراد إلى فاعيل ، وإن كان اللغويون يشترطون لذلك أن يكون الحرف الثاني من حروف الحلق مثل : لئيم - نهيق - بعير - نحيف - رغيف - بخيل " ⁵ .

ويؤكد الدكتور رمضان عبد التواب التطور التاريخي لهذه الصيغة الحلقيّة مفتوحة العين في المضارع ، " وقد حدث التطور الصوتي هنا أول ما حدث في صيغة المضارع المجزوم بالسكون إذ فيه وحده تقع الحركة مع صوت الحلق في مقطع واحد ثم طرد القياس الباب على وتيرة واحدة في المضارع المرفوع والمنصوب والذي تحرك فيه حرف الحلق بسبب اتصاله بالنهايات مثل يفتح ويفتح ويفتحون ... إلخ " ⁶ .

¹ - في اللهجات العربية ، إبراهيم أنيس ، 148

² - التطور اللغوي مظاهره وعلمه وقوانينه ، رمضان عبد التواب ، 107 / التطور النحوي للغة العربية ، برجشتراسر ، 63

³ - W.Wright: A grammar of the Arabic language, 77

⁴ - W.Wright : A grammar of the Arabic language , 76

⁵ - التطور اللغوي مظاهره وعلمه وقوانينه ، رمضان عبد التواب ، 44

⁶ - التطور اللغوي مظاهره وعلمه وقوانينه ، رمضان عبد التواب ، 107

ويرجعها برجشتراسر إلى الصيغة الأولى في السامية الأم حيث "إن (يفتح) أقدم بكثير من سائر المضارعات وهي ترتقي إلى أول طور تكوّن اللغات السامية ، وكان القياس ليس بقوي بعد في ذلك العهد ، ونشاهد آثار ذلك في أن الأفعال متنوعة تنوعاً زائداً في بنائها ، منها ما ماضيه بالفتحة ومضارع بالفتحة أو بالكسرة ، أو بهما إلى آخره ، فغلب في مثل (يفتح) التشابه الصوتي على القياس في اللغة السامية الأم وبقي كذلك في أكثر اللغات السامية والعربية معها" ¹ .

وترجع كل هذه التأثيرات المصاحبة لحروف الحلق لصعوبتها النطقية فهي أدخل الحروف مخرجاً في الجهاز النطقي ، يفرق د. أحمد مختار عمر بين المخارج الأفقية (تمتد المخارج الأفقية من الشفتين إلى اللهاة) والمخارج الرأسية (من اللهاة حتى فتحة الزمار) وتضم معها الحروف الحلقية "وتعد الأصوات الرأسية أصعب الأصوات في مجال الفحص وحين فحصت بأشعة إكس لم تكن النتائج واضحة كما كان متوقعا ، وإنما أظهرت فقط الجدار الخلفي للحلق" ² .

ويذكر الدكتور شوقي النجار أن "الحلق مخرج عصي النطق إذ يشق على المرء استخدام هذا المخرج ولهذا نفرت أكثر اللغات من استخدامه ضمن مخارجها ، ولولا أن هذا المخرج من ضمن مخارج الأصوات التي نألفها لاستخدامها في لغتنا لأدركنا كم تكون صعوبة النطق بأصوات حلقية" ³ .

ولما كانت مجموعة أصوات الحلق من المجموعات صعبة النطق "لذا فقد كانت عرضة لعمل قانون السهولة والتيسير ، وفعل قوانين التطور اللغوي المختلفة فطراً عليها كثير من التغيرات وصلت في بعض اللغات إلى المدى المطلق ، وظلت في بعضها الآخر مقصورة على بعض الأنماط ، أي أنها ظلت في حدود التغير التاريخي المقيد كما هي الحال في العربية" ⁴ .

¹ - التطور النحوي للغة العربية ، برجشتراسر ، 63

² - دراسة الصوت اللغوي ، د. أحمد مختار عمر ، 273

³ - الأصوات د. أحمد شوقي النجار ، 44

⁴ - التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية و اللغات السامية ، أمانة صالح الزعبي ، 16

وبالنظر في اللغات السامية المقارنة سنجد أن لأصوات الحلق نفس التأثير في صيغة المضارع ، أضف إلى ذلك أن لتلك الأصوات تأثيرات أخرى تتمثل في سقوط حرف الحلق من الرسم أو النطق أو تحوله إلى صوت آخر عن طريق الإبدال .

والأصوات الحلقية في الساميات يتفاوت عددها عما في العربية أفهي : الهمزة والهاء والعين والحاء في الساميات الشمالية ، وتزيد الحاء في الجنوبيات والغين في العربية الجنوبية ، ويضاف إلى تلك الأصوات الحلقية صوت آخر غير حلقى هو صوت الراء في الساميات الشمالية في حالة تشديد الحرف . وعليه فحروف الحلق عند السريان خمسة " لاآؤح ع ر " 1 . (أهـ ح ع ر) . وفي العبرية (א ה ח ע) 2 . الهمزة والهاء والحاء والعين ، وتضاف الراء في عدم قبولها التشديد فقط . وتنقسم إلى ضعيف (א - ה) وقوي (ח - ע) 3 . ، ويتضح أن حرف الراء ليس حلقى المخرج في الساميات ولكنه ينضم إلى مجموعة الحلقيات تبعاً لتأثيره المماثل في الفعل المضارع . وفي الحبشية خمسة (አ ደ ረ ገ) 4 .

هذه الحروف تصنع نفس التأثير في عين الفعل المضارع حلقى العين أو اللام أو يحدث " في كل اللغات السامية أن الجذر الثاني أو الثالث إذا كان حلقياً مشكولاً بالضممة (ü) أو الكسرة (î) يفتح في المضارع (ā) " 5 .

¹ - الأصول الجلية في نحو اللغة الآرامية ، 18

² - انظر في ذلك : دروس في اللغة العبرية ، ربحي كمال ، 70 / دروس في اللغة العبرية القديمة من خلال نصوص التوراة ، سلوى غريسة ، 33 / قواعد اللغة العبرية ، عوني عبد الرؤوف ، 23 / اللغة العبرية

قواعد ونصوص ، سيد فرج راشد 28

³ - دروس في اللغة العبرية القديمة من خلال نصوص التوراة ، 33

⁴ - في قواعد الساميات ، 329

⁵ -C. Brockelmann: Semitische sprachwissenschaft , 85

C. Brockelmann: Semitische sprachwissenschaft 67-68

وانظر في ذلك :

W.Wright: A grammar of the Arabic language , 180

C.Brockelmann: Précis de linguistique semitique, 98

ويسوق علماء الساميات العديد من الأمثلة المشتركة بين اللغات السامية في فتح عين المضارع :

ففي العبرية : **שָׁאַל** (شاءل) سأل ← **אַשְׁאַל** (إَشْأَل) = أسأل

- **בָּחַר** (باحر) اختار ← **אֶבְחַר**¹ . (إِبْحَر) = أختار

- **שָׁלַח** (شالَح) أرسل ← **אֶשְׁלַח** (إَشْلَح) = أُرسل

- **שָׁמַע** (شامع) اسمع ← **אֶשְׁמַע** (إَشْمَع) = أسمع

وفي السريانية : **شَمَعَ** ← **يَشْمَع** (شامع - يَشْمَع) (سمع - يسمع)

- **مَشَح** ← **يَمَشَح** (مَشَح - يَمَشَح) (مسح - يمسح)

حَسَرَ ← **يَحْسَر** (حَسَرَ - يَحْسَر) (نقص - ينقص)

- **بَلَعَ** ← **يَبْلَع** (بَلَعَ - يَبْلَع)² .

ومع الراء : **دَكَر** ← **يَدَكَّر** (دَكَر - يَدَكَّر)³ . (ذكر - يَذَكَّر) .

والفعل فتح يفتح في الحبشية **yefthā** ، وفي السريانية فُح نَفْثُح **neftah** ، وفي العبرية

פָּתַח יִפְתַּח **yiftah** ، وفي الآشورية **îptē** من **(iptah)**⁴ .

ومثلما خرج عن قاعدة الحروف الحلقية مثل (نَحَت - يَنْحِت) و (فَرُغ - يَفْرُغ) إلى قاعدته

الأساسية في اللغة العربية ، كذلك الحال في الساميات حيث يلاحظ أن الفتح " غالب فيما كانت لامه

حرف حلق أو راء ، لأن هناك أفعالا متعددة فيها هذا الشرط ولا تأتي على هذا الوزن مثل :

وانظر أيضا : في اللهجات العربية ، إبراهيم أنيس ، 148 / في قواعد الساميات 208 / غرامطيق اللغة
الأرامية السريانية 159 / فقه اللغات السامية ، كارل بروكلمان ، 71 / بحوث في الاستشراق واللغة

، إسماعيل أحمد عمايرة ، 234 / الأصول الجلية ، يعقوب أوجين منا ، 18

¹ - اللغة العبرية ، سيد فرج راشد ، 183

C. Brockelmann: Syrische Grammatik, 67 :² انظر :

في قواعد الساميات العبرية والسريانية والحبشية ، رمضان عبد التواب ، 208

³ - C. Brockelmann: Syrische Grammatik, 68

C. Brockelmann : Precis de linguistique semitique, 98

⁴ - انظر :

فقه اللغات السامية ، كارل بروكلمان ، 71

- زَرَع يَزْرُوع (زَرع - يزرع) - زَبَح يَزْبُوح ذبح - يذبح¹. (يقراً مضارعه : يَزْرُوع - يذبح).

ولابد أن نشير إلى أن تأثير الحروف الحلقية في الساميات أخوات العربية لا يقتصر على فتح عين المضارع فحسب ، بل يمتد إلى تأثيرات صوتية أخرى تدلل على صعوبة أطراد قاعدة ثابتة لها ، تكون مانعة حاسمة ، فالأمر قد يرجع في كثير من الأحيان لأحوال الناطقين ، لكن الثابت في الأمر أن لحروف الحلق خصوصية التأثير الصوتي على البنية الصرفية .

ومن هذه التأثيرات التي تخص حروف الحلق في البنية السامية بخلاف عين المضارع ما يلي :

(1) - في العبرية :-

صيغة الفعل الماضي إذا كانت فاء الفعل حرفاً من حروف الحلق (אהחע ءهح ع) لا تقبل حروف الحلق السكون التام أو الناقص تحتها ويحل محله السكون المركب (الحاطف بتاح) في الفعل المجرد السالم عند إسناده لضمير المخاطبين أو المخاطبات مثل : אִמְרָתָם (قلتم)². ('amartém) ، وفيها أيضاً إذا كانت لام الفعل (ח أو ע) مثل נִכַּח sāḥaḥ (نسي -) ، و בָּלַע pāla' (بلع) فإنه يجب شكلها بالفتحة المستعارة عند مجيء اسم الفاعل منها مثل : בֹּלַע و שׁוּנַח . (Pólé - sóhéḥ)³.

والمعروف أن الماضي على وزن (פִּעְלָה) (فاعلاه) تشكل عينه بالسكون المتحرك عند إسناده إلى الغائبة ، لكن إذا كانت عينه حرفاً حلقياً فإنها تنتقل من السكون المتحرك إلى الحاطف بتاح مثل : נִאְמָה (نأماه) خطبت - פָּחַדָה (فاحذاه) خافت - סָעַדָה (ساعذه) أكلت⁴.

¹ - في قواعد الساميات ، 208

² - انظر : دروس في اللغة العبرية ، ربحي كمال ، 167 ، والحاطف بتاح حركة مركبة من سكون وفتح وتنطق كالفتح تماماً .

³ - من توجيهات أستاذنا الدكتور محمد صالح توفيق .

⁴ - انظر : دروس في اللغة العبرية ، ربحي كمال ، 168

كذلك لا يجوز في العبرية أن يأتي السكون وحده تحت حرف من حرف الحلق (אהחע) بل يجب أن يكون هذا السكون الواقع تحت حرف حلقي مصحوبا إما بحركة القصاص (ֿ) (الفتحة الطويلة) ... وإما بحركة البتاح (ֿ) (الفتحة القصيرة) ، وإما بحركة السيجول (ֿ) ¹ . (الكسرة القصيرة المائلة) . ومنه يعقوب (يَعْقُب) ... والأصل في العين السكون حركت لأنه حرف حلقي ² . ولقد جاءت معه الحركة التي تخففه ya'aqob يعقوب ³ .

ومن تأثير الحلقيات على البنية في العبرية ما يشير إليه علماء الدراسات المقارنة التي تؤكد أن " العبرية خطت خطوات أبعد مع أصوات الحلق فهي لا تضعف هذه الأصوات وتعوّض عن ذلك بإطالة الحركة السابقة مثل emhāmāhā أي من حكيم ⁴ .

ولا يقف الأمر عند هذا الحد بل تظهر في العبرية ما يسمى بـ (الفتحة المستعارة) وتقع مع الأحرف الحلقية الثلاثة (החע ه ح ع) في آخر الكلمة مشكولة بـ (الفتحة ، פתח البتاح) هكذا : הַחַיָּה ، لا، فإذا كان مسبوqa بحركة من حركات الكسر أو الضم وجب نطقه بالفتحة المستعارة (יֶה - وَه ، יֶח - وَخ ، יֶע - وَغ) ومن أمثلته : לֹוּחַ lowwah لوح ، שַׁבּוּעַ savuwwa أسبوع ⁵ .

(2) - وفي السريانية :

لا تقبل الحروف الحلقية قبلها رباعا (كسر مطبق مشبع بإمالة) ولا زلاما (كسر -) في آخر الكلمة ، فكلما اقتضى أن يكون قبلها هذا الكسر يقلبونه إلى فتاح ⁶ .

¹ - انظر : دروس في اللغة العبرية ، ربحي كمال ، 76

² - انظر : ملتقى اللغتين العبرية والعربية 1 / 217

³ - العربية واللغات السامية ، 12

⁴ - محاضرات في العربية واللغات السامية ، 23 / العربية واللغات السامية ، 12 / وانظر : دروس في اللغة العبرية القديمة من خلال نصوص التوراة ، 33 / دروس في اللغة العبرية ، ربحي كمال ، 81

⁵ - انظر في ذلك : عبرية مبسطة ، محمد توفيق الصواف ، 47 / دروس في اللغة العبرية ، ربحي كمال ، 88 / العربية واللغات السامية ، 12 / محاضرات في العربية واللغات السامية ، 23 / مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ، 103 - 268

⁶ - انظر : اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية ، 59 / غرامطيق اللغة الآرامية السريانية ، 46 / مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ، 268 - 269

وفيها أيضا نجد اسم الفاعل " من الثلاثي المجرد على وزن فاعِل ... إلا المختوم بحرف حلق أو ريش (ر) فتفتح عينه نحو : فُتَح فاتح من فُتَح¹ . فتَح .

(3) - وفي الحبشية

هناك تأثير ظاهر للحروف الحلقية (ء - ه - ع - ح - خ) على الأسماء والأفعال ليس شرطاً بالفتح بل من الممكن أيضا بالكسر أو بالمائلة ، ومن ذلك :

- 1- إذا تبع الفتحة القصيرة حرف حلقي أطيلت هذه الفتحة
 - 2- قلب الفتحة القصيرة إلى (e) إذا جاء بعدها حرف حلقي مشكل بغير الفتحة .
 - 3- إذا جاءت الكسرة المائلة متبوعة بحرف حلقي مفتوح فتحة قصيرة قلبت الكسرة إلى فتحة بسبب قانون المائلة² .
- ومن أمثلة ذلك الفعل sama·ku (سَمِعْتُ) تصير samā'ku³ .

(4) - ويقع الإبدال في العربية الجنوبية في أحرف الحلق ، ويرصد موسكاتي " تحول العين إلى الهمزة في لهجة حضر موت ... وإن كانت العربية الكلاسيكية تعرض ثباتا واضحا لأصوات الحلق والحنجرة ، وإن وقف على آثار قليلة من تطور العين إلى الهمزة والحاء إلى الهاء في لهجات قديمة "⁴ .

وفي النقوش العربية الجنوبية " وردت طائفة من الأمثلة لا يتنظمها ناظم ما ، حذفت فيها (الهمزة أو العين أو الهاء) في مواضع ترد فيها هذه الحروف عادة ، ولما كانت هذه الظاهرة مقصورة على الأحرف المذكورة فلا يمكن أن نرجعها إلى خطأ كاتبي النقوش (كما افترض بعضهم) بل هي ظاهرة صوتية خالصة يراد بها تخفيف نطق أصوات أقصى الحلق الثلاثية إلى أدنى حد ممكن . فمن ذلك مثلا :

yz' ... yz بدلا من yz' . ومنه الفعل المضارع t § r في حين أن ماضيه §'tr تقدم في النقش نفسه

¹ - اللعة الشهية 218

² - انظر : في قواعد الساميات ، 329 - 332

³ - انظر : مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ، 269

⁴ - مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ، 79

... ونلاحظ أيضا أن المسلمين حذفوا الألف من الاسم šrh'l وورد في النقوش فأصبح عندهم شرحيل "sarahil"¹.

(5) - وفي الساميات الأخرى قد يسقط الحرف الحلقي ، ففي المندية قد يسقط الحرف الحلقي وتنتقل حركته من (a إلى ē) مثل تحت : that ← tēt أرعد ramā ← rēmā وفي الآشورية أيضا : balu ← belu السيد².

وتتسم البونية بسمة مميزة من الفينيقية تلك هي الإضعاف المتدرج وقلب الحاء h والعين والهاء همزة أو تركها بلا رسم في آخر الأمر³.

وتتبادل حروف الحلق مواضعها في الساميات الشمالية الغربية أو تحذف جميعا ، وفي لغات المجموعة الشرقية يكثر قلب العين همزة وقد يمتد في واقع الأمر إلى قلب الهمزة صفرا أي بلا رسم ، والهاء همزة و صفرا⁴.

وبعد العرض السابق لتأثير حروف الحلق على البنية تأثيرا صوتيا وصرفيا في اللغات السامية ينبغي أن نؤكد أن اختيار الكسر في مثل (ينحت) هو أمر قياسي يسير طبقا للقاعدة الأصلية وأن الفتح هو الطارئ على هذه الصيغة ومثيلا لها لما لحروف الحلق من تأثير عظيم على بنية المضارع بل يتعدى هذا التأثير بنية المضارع إلى تأثيرات صوتية عديدة في الأسماء والأفعال في كل اللغات السامية .

ثانيا : قضية (أبي يابى)

وفي المقابل نجد قضية (أبي يابى) التي لا يحتوي مضارعها على صوت حلقي في عينه ولا لامه ، ومع ذلك فقد فتحت عين مضارعه ، واختلف القدماء في تأويله ، وأبرز الشراح ابن درستويه

¹ - قواعد النقوش العربية الجنوبية ، كتابات المسند ، ألفريد بيستون ، 17 - 18

² - C. Brockelmann: Semitische sprachwissenschaft , 86

³ - انظر : مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ، 77 - 78

⁴ - انظر : مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ، 78

الذي رأى العلة في (يَأْبَى) " أنهم حملوه على ما هو في معناه وفيه حرف حلقي وهو قولهم : (يَمْنَع) ، كما حمل (يذر) على (يَدَع) " 1 .

هذا الحمل على المعنى في رأي ابن درستويه ليس يعني أنه صواب " والذي يذهب إليه في قولهم أنهم غلطوا فيه على التشبيه بما هو في معناه مما يفتح حرف الحلق وهو قولهم منع يمنع " 2 .

وحمل البنية الصرفية على نظيرتها الدلالية مبدأ قائم عند الصرفيين في تفسير خروج البنية عن مسارها أو هو ما يفسر به (يَأْبَى ويذر) عند ابن درستويه " وقد أجرى (يذر) مجرى (يَدَع) في فتح الثاني منه وليس فيه شيء من حروف الحلق ، ولكن لما كان في معنى يدع وماضيه غير مستعمل ، فتح إتباعاً ليدع فقليل يذر ، وإنما حقه أن يكسر مثل (وزن يزن) ، وهذا بمنزلة قولهم : (يَأْبَى) حين فتحوه وليس ثانيه ولا ثالثه من حروف الحلق ، وكان حقه أن يقال : يَأْبَى بكسر الياء كما يقال يَأْبَى لأن ماضيه على فَعَل أيضاً . فزعم سيبويه أنهم فتحوه من أجل أن فاء الفعل من حروف الحلق ، كأنهم غلطوا في ذلك وهذا بعيد .

" وزعم أبو العباس المبرد أنها فتح (يَأْبَى) لأنه إذا فتح صار لام الفعل منه من حروف الحلق ، يعني الألف ، وإن كان لا يكون في الكلام إلا زيادة أو بدلا ، ولا يعتمد به اللسان على راد ، ولكنه هاو . وهذا القول خطأ ، وقياسه فاسد لأنه ليس من حروف العلة ، إلا وهو إذا انفتح ما قبله وتحول هو صار ألفا فلم خَصَّ بالفتح من ذوات العلة هذه الكلمة وحدها ؟! . ومع ذلك فإنه تصير العلة بعد المعلول إذا كان إنما يفتح من أجل شيء يحدث فيه بعد انفتاحه ، وهذا فاسد " 3 .

وكان سيبويه قد قدم للصيغة (يَأْبَى) أكثر من علة : " وقالوا أبى يَأْبَى فشبهوه بيقراً ، وفي يَأْبَى وجه آخر أن يكون فيه مثل حَسِب يحسب فُتِحَا كما كُسِرَا . وقالوا : جبي يجبي وقل يقل فشبهوا هذا بقرأ يقرأ ونحوه " 4 .

¹ - تصحيح الفصيح و شرحه ، لابن درستويه ، 261

² - تصحيح الفصيح و شرحه ، 35

³ - تصحيح الفصيح و شرحه ، 261

⁴ - الكتاب ، لسيبويه ، 105 / 4

وإلى هذا ذهب ابن جني في الخصائص وقدم تفسيرات أخرى لمثل هذه الصيغ تدل على حيرته ، وقدم لأمثال هذه الصيغ الفصيحة - ولا جدال في ذلك - (باب فيما يرد عن العربي مخالفا لما عليه الجمهور) مبينا فيه أنه قد يتفق العلماء على شيء ويأتي كلام العربي مخالفا رأي العلماء وعدّه من القليل النادر ولكنه عربي فصيح¹ .

وفي إجابة للسؤال : كيف يجوز للعربي الفصيح أن يرتجل لنفسه ما يخالف الجمهور ؟ " قيل : قد يمكن أن يكون ذلك وقع إليه من لغة قديمة قد طال عهدا وعفا رسمها وتأبدت معالمها "² . ومع ذلك فسّر ابن جني (يأبى) مثل تفسير سابقه سيبويه ، يقول : " وأما غسا يغسى وجبى يجبى ، فإنه كأبى يأبى ، وذلك أنهم شبهوا الألف في آخره بالهمزة في قرأ يقرأ وهدأ يهدأ ، وقد قالوا غسى يغسى فقد يجوز أن يكون غسا يغسى من التركب (يقصد تداخل لغتين) وقالوا أيضا جبى يجبى ، وقد أنشد أبو زيد :

يا إيلي ماذا مُه فتأبيه

فجاء به على وجه القياس كأتى يأتي "³ . وعدّ الفراء ويعقوب (أبى يأبى) نادرا⁴ . ومن المعاصرين من حاول أن يقدم تخريجا صوتيا لرأي سيبويه " وبالرغم من أن سيبويه يخلط بين الهمزة والألف فإنه يمكن تفسير هذه الظاهرة بالعلاقة بين جرس الفتحة ومخرج حروف الحلق فنطق حروف الحلق يصحبه انفتاح في الفم يسهل عليه انقباض الحلق والحركة الوحيدة التي تتصف بالانفتاح هي الفتحة ومن هذه الصفة أخذت اسمها "⁵ .

¹ - انظر : الخصائص لابن جني ، 1 / 385

² - الخصائص ، 1 / 386

³ - الخصائص ، 1 / 382

⁴ - لسان العرب / أبى

⁵ - من قضايا اللغة ، مصطفى النحاس ، 150

ورغم وجود أمثلة قائمة بجوار (أبى يأبى) إلا أن ابن خالويه رأى أن ما جاء غير تلك الصيغة ففيه خلاف بين النحويين " قال ابن خالويه في شرح المقصورة : ليس في كلام العرب فَعَل يفعل (بفتح الماضي والمستقبل) إلا إذا كان فيه أحد حروف الحلق عينا أو لا ما نحو سَحَر يسَحَر إلا أبى يأبى . فإن قيل : أليس قد رويت لنا أنه جاء فَعَل يفعل بالفتح في خمسة أحرف : عشى يعشَى وقلى يقلَى وجبى يجبى وركن يركن ؟ فقل : ذلك خلاف ، وأبى يأبى لا خلاف بين النحويين فيه فلذلك خص بالذكر " ¹ .

ومقياس ابن خالويه في قبول (أبى يأبى) على حالها بعدم وجود خلاف فيه بين النحويين ينقضه الكلام المذكور عند سيويوه وابن درستويه وابن جني أو يؤكد الخلاف فيه ما ورد فيه من شاهد عند ابن جني في ورود (أبى يأبى) فصيحاً عن العرب . ولا تتميز (أبى يأبى) بشيء عن قريناتها حتى تستثنى من الخلاف ، الأمر الذي يؤكد أن من الناطقين بها من كان يكسر ، وإن اشتهر الفتح وغلب . وما يسمى بتداخل اللغات عند ابن جني يعقد القضية أكثر ، ويتم " بأن نأخذ ماضي لغة ومضارع أخرى ونركب بينهما ثلاثة ، كرحب المكان يرحب بضمهما ، ورحب يرحب بكسر- الماضي وفتح المضارع على القياس في اللغتين ، ويتولد بينهما لغتان : رَحِب المكان يرحب بضم الماضي وفتح الآتي ، ورحب يرحب بكسر الماضي وضم الآتي " ² .

والشروط التي وضعها النحاة العرب لمجيء باب (فَعَل يفعل) مما عينه أو لامه حرف حلقي هي كما يلي :

- 1- ألا يكون الفعل مضاعفاً مثل : صَحَّ يصحّ
- 2- ألا يكون مثلاً حلقي العين مثل : وعد يعد
- 3- ألا يكون أجوف يائياً أو واوياً مثل : باع يبيع وفاح يفوح

¹ - المزهر ، للسيوطي ، 1 / 92

² - من قضايا اللغة ، مصطفى النحاس ، 152

4- ألا يكون ناقصا واويا مثل : دعا يدعو ولها يلهو

5- ألا يشتهر بضم أو كسر مثل أخذ يأخذ و نفخ ينفخ ورجع يرجع¹ .

وكل تلك الشروط لا تنطبق على (أبى يأبى) بحال من الأحوال ، الأمر الذي يُبقي المشكلة قائمة .

ومن المعاصرين من يدعو إلى دراسة مثل هذه الصيغ الشاذة عن قاعدتها دراسة فردية خاصة² يقول دكتور أنيس : " والحقيقة أن اللهجة الواحدة يجب أن تخضع لقاعدة مطردة في الكثرة الغالبة من صيغها ولكن قد يتخللها القليل من الصيغ التي تسمى عادة بالشاذة وفي مثل هذه الحالة يجب أن تدرس هذه الصيغ على انفراد ، وأن يبحث عن مصدرها أو سر شذوذها . ويغلب أن يعزى هذا الشذوذ إلى انحدار الفعل من لهجة أخرى لها قواعد أخرى تخضع لها " ³ .

وهذا يذكرنا برؤية ابن جني من قبل في مثل تلك الصيغ النادرة التي ينطق بها العربي الفصيح " قد يمكن أن يكون ذلك وقع إليه من لغة قديمة قد طال عهدا وعفا رسمها وتأبدت معالمها " ⁴ . ومنهم -أي المعاصرين - من يدعو إلى شيء من التخفف من هيمنة القواعد المطردة عند القدماء فهذا د. تمام حسان يرى أن " القاعدة لدى المعيارية غاية في نفسها وقانون ذو سلطة توجب وتجزئ وتمنع ، والناس أمام هذه السلطة رعايا يطيعون ، ومن هنا سمحت الصيغة المعيارية لمنهج النحو أن تتحجر دراسته على صورتها بعد اكتملت لها القواعد " ⁴ .

والملاحظ في (أبى يأبى) وقريناتها المذكورات عند ابن جني وابن خالويه أن معظم تلك الصيغ معتلة بالفتحة الطويلة ناقصة : (عشى يعشى - قلى يقلى - جبى يجبى - غسا يغسى) وهذا أمر ربما يخلق رأيين خاصين حولها :

¹ - من قضايا اللغة ، 151

² - في اللهجات العربية ، إبراهيم أنيس ، 148

³ - الخصائص لابن جني ، 1 / 386

⁴ - اجتهادات لغوية ، تمام حسان ، 14

أولاً: أن تلك الصيغ في أصلها ربما كانت مهموزة وخففت ، ومن هنا جاءت مفتوحة العين أ ورؤية سيبويه في تشابه الحركة الطويلة بالهمزة في تلك البنية يقترب من هذا التبرير ، ويقي المصدر (إباء) مهموز العين يراودنا عن حقيقة أصل (أبى) مهموز اللام . خصوصاً وأن مثيلتها (أتى) مصدرها مختلف فلا يحتاج بها .

ثانياً : قد يدخل رأي آخر جدير بالنظر وهو احتمال أن يكون المضارع من هذه الأفعال قد بُني من الماضي في مرحلة مبكرة من مراحل إعلاله هذا إذا قبلنا أن مثل الفعل (أبى) قد تطور في إعلاله حسب الشكل التالي : **أبي ← أبى ← أبى ← أبى**

فيكون على ذلك أصل الصيغة (فعل) أوفتحت العين في مرحلة أحدث ، فوقعت الياء بين فتحتين فقلبت ألفاً في آخر مرحلة ، ويكون المضارع قد بني من الصيغة القدمى . ويرجح هذا القول ما قال به ابن جني من احتمالية وقوع الصيغة (يأبى) من لغة قديمة طال عهدها .

والمقارنة باللغات السامية لا تحسم الأمر بل ترجح أحد الرأيين السابقين ترجيحاً يصل لدرجة اليقين ، وتقدم لنا أكثر من مسلك يتأكد معه في النهاية أن الصيغة (يأبى) مفتوحة العين هي صيغة سامية أصيلة تناسب ماضيها تحت كل الاحتمالات وفق واحد من التفسيرات التالية :

1- بالرغم مما قدمناه من أن اللغات السامية توافق العربية في فتح عين المضارع بتأثير الحروف الحلقية ، رأينا في العربية نماذج تخرج عن هذا الاطراد من أخوات (نَحَتَ يَنْحِتُ ودَخَلَ يَدْخُلُ) كذلك نجد مثل هذا الخروج في الساميات ، ففي سفر دانيال 6 : 8 نجد **יָבִי ← יָבִי** yeb'ī (يبيعي) طلب بطلب¹ . بكسر عين المضارع ، وهي صيغة من باب معتل اللام بالألف وقد جاءت على مثال بَغَى يَبْغِي أو عينها حرف حلقي أو رغم ذلك جاء مكسوراً مما يدل على تشابه ما في عدم اطراد القاعدة في مثل (أبى يأبى) .

¹ - آرامية العهد القديم قواعد ونصوص ، 152

2- صيغة (فعل يفعل) هي صيغة سامية حقيقية لا تشترط وجود الصوت الحلقي في أصولها وهي واحدة من ستة أوزان للفعل في العبرية والسريانية هي كما يلي : (فَعَلَ يَفْعُل - فَعَلَ يَفْعُل - فَعَلَ يَفْعُل - فَعَلَ يَفْعُل - فَعَلَ يَفْعُل - فَعَلَ يَفْعُل) ¹ . ومن أمثلة ذلك في العبرية : **לָבַשׁ** ← **יָלְבַשׁ** أدانيال 5 : 7 ² . من وزن : فَعَلَ يَفْعُل (**lābas - yelebas**) ، وبدون حرف حلقي .

وفي ذلك يقول صاحب اللمعة الشهية : " اعلم أن كل ما في لامة أحد حروف الحلق و الريش لا يمكن أن يكون بالكسر في الماضي ولا في المضارع فيكون إما بالفتح أو بالضم ، ولكن الوزن الثالث الذي هو بالفتح (يقصد فَعَلَ يَفْعُل) لا يشترط فيه أن يكون في عينه أو لامة أحد حروف الحلق كما في العبرية فقد يكون أفعال من هذا الوزن لا حرف حلقي فيها " ³ . وهذه القاعدة ترجح أن تكون الصيغة العبرية (أبى يأبى) قد جاءت عن هذا الطريق السامي .

3- يقترب من درجة الرجحان ما طرحه الباحث من قبل من أن الصيغة (أبى) يحتمل أنها كانت مهموزة وخففت خصوصا إذا علمنا أن تسهيل الهمز في الصيغ السامية المهموزة أمر يحدث كثيرا في اللهجات الأحدث أو المتطورة لتلك اللغات ، بل إن تسهيل الهمز قد يحدث في فاء الفعل المهموزة في صيغة المضارع ، وتسهل الهمز في خمسة أفعال عبرية هي : **אָסַר** (آمر) قال - **אָכַל** (آكل) - **אָבַד** (أفد) ضاع - **אָפַה** (آفاه) خبز - **אָבַה** (آبه) شاء أو أبى ، يتصرف في المستقبل بأن يحذف فاؤها ⁴ . فإذا علمنا أن الصيغة في الآرامية هي **אָבַח** ⁵ ، (آفأ) منتهية بالهمز المخفف أيترجح لدينا أنها كانت مهموزة وخففت في العبرية ، وفي العبرية أيضا فهي فيها **אָבַה** ⁶ ؛ حيث إن معظم الصيغ الناقصة

¹ - انظر : اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية ، 187 - 188 / آرامية العهد القديم قواعد ونصوص 151 - 152

² - انظر : آرامية العهد القديم قواعد ونصوص ، 151

³ - اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية ، إقليميس يوسف داود الموصلي ، 188

⁴ - انظر : اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية ، 210

⁵ - انظر : المعجم التأصيلي للفعل الناقص في اللغات السامية ، 27

⁶ - انظر : المعجم التأصيلي ، 27

في العبرية والتي تنتهي بهاء السكت (ה) كانت في الأصل مهموزة في العربية¹. ومن هنا يمكن القول بأن الصيغة (يأبى) فتحت عينها مراعاة لصوت الهمز الحنجري وهو الأصل فيها.

4- الرأي الأخير الذي نراه يصل لدرجة اليقين لدينا وهو ما طرحته من قبل أيضا حول إمكانية أن يكون المضارع من هذه الأفعال قد بُني من الماضي في مرحلة مبكرة من مراحل إعلاله، جاء في المعجم التأصيلي " (أبى / أَيْ / أبى : يأبى / يَأْبِي / يَنْبِي) كره - رفض أبى : انتهى عن ... :

- في العربية الجنوبية ابى - تابى : رفض - امتنع عن (أب ي - ت أب ي)

- في الحبشية 'ሀበላ' - 'ሀበላ' رفض². ('abaya - 'abaya)

فالماضي في العربية الجنوبية يائي، وغالبا ما نجد الأفعال المعتلة في العربية الشمالية عربية القرآن الكريم نجدها في العربية الجنوبية في المرحلة السابقة تاريخيا، أقصد مرحلة ما قبل الإعلال (التصحيح)، وفي الحبشية : abaya ، وهي تحتفظ بنفس المرحلة السابقة على الإعلال، كما توضح الأشورية أن الباء مكسورة لا مفتوحة فهي فيها : abitu ، بمعنى وافق / رغب³.

ولما كانت دلالة الصيغة في العبرية والآرامية عكس ما هي عليه في العربية، حيث إن معناها في اللغتين أراد ورغب وأطاع، فقد حاول مراد فرج المحامي أن يربط الصيغة العربية (أبى يأبى) بباب (أيب) في العبرية ربما على سبيل القلب المكاني وفسر على ذلك (أيوب) "هو عبريا (أيوب) كسر- فضم ممال مشدد ممدود... وهو من باب (أيب) يقابله في العربية فعل أبى يأبى (أبى واستكبر) (وتأبى قلوبهم) وقيل له ذلك لأن الشيطان أباه عند ربه : كرهه وأبغضه فابتلاه الله ليخزي بصلاحه وتقواه عين الشيطان أثم هو قريب لفعل (آب) ... لرجوعه إلى الله"⁴.

¹ - المتتبع لمعجم جزيبيوس يجد أن الصيغ العربية المنتهية بالهمز من أمثال (قرأ) نجدها في العبرية تنتهي بـ

(ה) ونادرا ما تنتهي بـ (א) انظر :

W.Gesenius: 2

² - المعجم التأصيلي، 27

³ - انظر : معجم مفردات المشترك السامي، حازم علي كمال الدين، 34

⁴ - ملتقى اللغتين العبرية والعربية، مراد فرج المحامي، 128

والباحث لا يميل إلى ربط مراد فرج بين (أيوب) و (أبى) ؛ فالأولى من (آب - رجع) ،
ونذهب إلى القول بأن المضارع (يأبى) قد بني من الماضي (أبى) (فعل) في مرحلة مبكرة من تاريخ
العربية قبل إعلاله بالصورة الحديثة في العربية الفصحى .